آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية مكتبية.

تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث.

السنة الثانية - العدد الخامس - المحرم ١٤١٥ هـ، يونيو (حزيران) ١٩٩٤

صورة غلاف مجلة المقتبس السورية

تراثنا و نار

أبي حيان

الدكتور. غازي مختار طليمات

كلية الدراسات الإسلامية و العربية - دبي

قيل : إ ن أبا حيان التوحيدي لقي الشُّحَّ من أهل عصره . فأحرق كتبه ليحرم من حرموه . ومع ذلك انطوى أبو حيان ، وانتشرت كتبه .

*

حقّقْ ودقّق ونقّبْ، ليس في الكتُبِ حرزٌ من الماس، أو كَنْزٌ من الذهبِ

واسهرْ وسوّدْ وبيّضْ واختزلْ وأطل فلن تفوز بغير الهمّ والنصبِ

ذوّبتَ عينيك في الأسفار، أصبحتا زبيبتيْنِ، وجفّ النورُ في الهدبِ

وغاصتا في رمادِ الشيْب، فاحتُضِرتْ نار الجمار. وفاض الدمع كالحَبَب

مـــاذا تُرجّي من المـــخطوط مـــأثرةً ... أم شـــهـرة. خـاب مـاترجـوه من أرَب

وازنْ وقـــــارن وعلّق. كلّ ذاك سُدى ... الفـضـل للرأس. ليس الفـضـل للذنب

ولسْتَ أكـثـرَ من حـفّارِ أضـرحـةٍ ... تغفو وتصحو على الأكفان في التُّرَب

وهَبْك حـقّقْتَ واسـتـوثقتَ وانحـسـرتْ ... عـمّا غَرَسْتَ سـيـولُ الكيْد والكذبِ

عـلام تحـيـا سـجـين الكتب مكتـحـلاً ... بالحـبـر لا التـبـر عـيشَ الـراهب العَزَب؟

والـنـاشـــــرون لـهـم فـي كـلِّ مُنْتَجـع ... ؟بـلْعٌ ورتـع مـع الأبـكـار والـعُرُب

إن يعطشـوا يشـربوا عـينيك سُؤْرَهمـا ... رشفَ اليـعـاسـيب لـلأعناب والضَّرَب

أنهـبْتَ عـمـرك تجـاراً بلا خُلُق ... وجـامـعـاتٍ أجـازت كلّ مُنْتَهَب

ونظَّمَتْ لانتـهـاب العلم أنظمـةً ... تسـبي بناتك . فـاحـجُبْهن واحـتـجب

فـهـن بين اثنتـين : الوأدِ صِغَر ... والسـبي في كـبـر ، إِدْهُنَّ وانتـحـب

أمـاأصـاب(أبو حـيـان) حـين رمت ... يداه أبناءه في جـاحم الحطب ؟

بلى ، اشـتـفى من زمـان غـادر، وبكى ... على الرمـاد ، بكاء الوالد الحـدب

يا راهب الفكر ، أغنى منك راقـصـةٌ ... تحـوزُ في سـاعـة مـا حُزْتَ في حِقَب

لو أنّهـا رقـصتْ في البيـد لانفـجـرتْ ... من رملهـا أنهـرُ الأمـوال والنشب

لو أَلبـستْ خَصْرَها مـخطوطةً لهـمتْ ... أوراقُهـا الصـفـر أمطاراً بلا سـحب

انقل دمـاغك من رأسٍ إلى قـدمٍ ... تظفـرْ بكل ثراء الكون والرتب

خـيـر الرؤوس رؤوسٌ جـدُّ فـارغـةٍ ... وخـيـرُ أفـرغـهـا المـخـتصّ باللعب

وخـيـر مـافي خـيـار الفـارغـات كُرى ... تُرْمَى ، فـتـعلو برامـيـهـا إلى الشـهب

لمـا فـرغتُ شكالي راهبي ، وبكى ... وقـال أوجـعـتني ، فـاسكتْ أو انسـحب

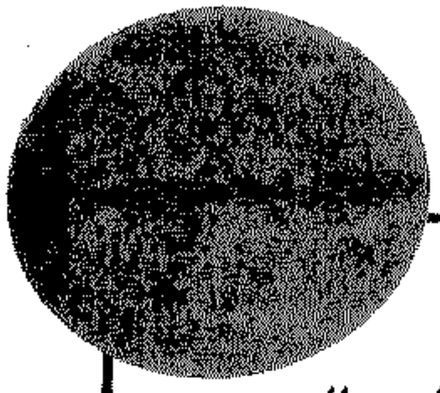

* *

إني امـــتُحنت بداء لا شـــفـــاء له ســـوى رضـــاي بحكم الله والســـغب

حـتى غـدوتُ كـبـعض الـسـوس ليس له زادٌ ســـــوى عَفَنِ الأوراق فـي الـكتـب

كـجـرّة صـانهـا كـهف ، فـمُذْ خـرجت إلـى الـهـــــواء هَوَتْ فـي هوّة الـعطـب

دعني لمـــا أنا فـــيـــه ، لستُ أول من قـضـى عليـهم زمـانُ القـهـر بالتـعب

وليـت نـار أبـي حـــيّان قـــد أكلتْ أوصـــالَه ، وعـــفتْ عن كُتْبـــه النُّجُب

فلتـأكلِ النارُ أمـوات المـجـوس ، فـمـا فـــيـــهم وفـــاء لأمّ برّة وأب

أمّا وفـــائـي لأبائي فـــمـــأثرةٌ تفـــردتْ بسناها أمـــة العـــرب

مـــدادنا دمُنا ، مـــا ســـال من قلم نُجِلُّه ، كـالدم الجـاري على القُضُب

وكل حـــرف كـــتـــبناه على ورق ككل رعف صـــبـــبناه على هضب

فـذاك يهـدي ، وذا يفـدي ، وأمـتنا بالحـرف والسيف صـانت أكرم النسب

دعني لمـا بي ، فـمـا طرفي بمنحـرف عن الحـــــروف ، ولا قلبي بـمنقلب

أما كفـانا الذي اغتـال المـغولُ ، ومـا سـبـاه جـيشُ الصليـبـيـين من سلب

إني سـعـيدٌ ، شـقيُّ العـين ، ممـتحَن بحـرفـة الحـرف والتـحـقـيق والأدب

تراثنا كـــجـــذور النخل ، إنْ يبـــست فـالفكرُ غـابُ جـريدٍ يابس الخـشب

وإن سـقـتْهـا عـيـونُ البـاحـثـين زكتْ وأنبـــــتت من ثـراهـا أطيب الرُّطَب

فلتـــبقَ نار أبي حـــيّان خـــامـــدةً ولتـشـتـعلْ سُرُجُ التـحـقـيق باللهب

* * * *